في قوله ومن ذريتي للتبعيض واما ذكر هذا التبعيض لانه علم باعلام الله تعالى انه يكون
في ذريته جمع من الكفار وذلك قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين المطلوب
السادس انه عليه السلام لما دعا الله تعالى في المطالب المذكورة دعا الله تعالى
ان يتقبل دعاءه فقال ربنا وتقبل دعاء قال ابن عباس يريد عبادتي بدليل
قوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله وقيل دعاءي المذكور المطلوب السابع
قوله ربنا اي ايها المالك لامورنا المدبر لنا اغفر لي فان قيل ان طلب المغفرة
انما يكون بعد سابقة ذنب اجيب بان المقصود من ذلك الالتجاء الى الله تعالى وقطع
الطمع الا من فضله وكرمه ورحمته ثم اشرك معه اقرب الناس اليه واحقهم شكرا
فقال ولوالدي فان قيل كيف جاز ان يستغفر لوالديه وكانا كافرين اجيب
بوجوه الاول ان المنع منه لا يعلم منه الا بتوقيف فلعله لم يجد منه منعا وظن كونه
جائزا الثاني اراد بوالديه ادم وحوا الثالث كان ذلك بشرط الاسلام وقال بعضهم
كانت امه مومنة ولذلك خص اباه بالذكر في قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه
ثم دعا لمن تبعه في الدين من ذريته وغيرهم بقوله وللمومنين اي الفريقين في هذا الوصف
يوم يقوم اي يبدو ويظهر الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس فيه للحساب
فاكتفي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعا للمومنين بالمغفرة والله تعالى
لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام وفيه بشارة عظيمة للمومنين بالمغفرة
فنسال الله تعالى ان يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولاحيائنا ولمن نظر في هذا التفسير
ودعا لمن كان سببا فيه بالمغفرة ولكاتبه ولما بين تعالى دلائل التوحيد ثم حكى عن
ابراهيم عليه السلام انه طلب من الله تعالى ان يصونه عن الشرك وطلب منه ان
يوفقه للاعمال الصالحة وان يخصه بالرحمة والمغفرة في يوم القيامة بقوله تعالى
مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون لان الغفلة
معنى يمنع الانسان عن الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري
الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى محال والمقصود من
ذلك التنبيه على انه ينتقم للمظلوم من الظالم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام
له بانه لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا عنه وعن
سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فيه
تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه
فان قيل كيف يليق به صلى الله عليه وسلم ان يحسب الله موصوفا بالغفلة وهو
اعلم الناس به اجيب بوجوه الاول ان المراد به التثبت على ما كان عليه من انه لا يحسب
الله غافلا كقوله لا تدع مع الله الها اخر والثاني ان المقصود منه بيان انه لو لم ينتقم
لكان عدم الانتقام لاجل غفلته عن ذلك الظلم والثالث ان المراد ولا تحسبنه
معاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير
والقطمير والرابع ان يكون هذا الكلام كان خطابا لامة النبي صلى الله عليه وسلم في

الظاهر

الظاهر لانه يكون في الحقيقة خطابا لامته ثم بين تعالى انه انما يوخرهم اي عذابهم
ليوم موصوف بخمس صفات الصفة الاولى قوله تعالى تشخص فيه الابصار
اي ابصارهم لا تقر مكانها من هول ما ترى في ذلك اليوم الصفة الثانية قوله مهطعين
اي مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا وقيل المهطع
الخاضع الذليل الساكت الصفة الثالثة قوله تعالى مقنعي رءوسهم اي رافعيها
اذ الاقناع رفع الراس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رءوسهم الى السما
وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلا يطرق ببصره الى الارض وقال الحسن
وجوه الناس يوم القيمة الى السما لا ينظر احد الى احد والصفة الرابعة قوله تعالى
لا يرتد اليهم طرفهم اي بل تثبت عيونهم شاخصة لا يطرفون بعيونهم ولكن عيونهم
مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان قد شغلهم ما بين ايديهم الصفة
الخامسة قوله تعالى وافئدتهم اي قلوبهم هواء اي خالية من العقل لفرط الحيرة
والدهشة وقال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم
فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها تنبيه اختلفوا في وقت حصول
هذه الصفات فقيل انها عند المحاسبة بدليل انه تعالى انما ذكر هذه الصفات
عقب وصف ذلك بانه يوم يقوم الحساب وقيل انها تحصل عند ما يتميز فريق
عن فريق فالسعدا يذهبون الى الجنة والاشقيا الى النار وقيل تحصل عند اجابة الداعي
والقيام من القبور قال الرازي والاول اولى وانذر الناس يا محمد اي خوفهم
يوم القيمة وهو قوله تعالى يوم ياتيهم العذاب الذي تقدم ذكره وهو شخوص ابصارهم
وكونهم مهطعين مقنعي رءوسهم فيقول الذين ظلموا اي كفروا ربنا اخرنا اي بان
تردنا الى الدنيا الى اجل قريب اي الى امد واحد من الزمان قريب نجب دعوتك
اي بالتوحيد ونتدارك ما فرطنا فيه ونتبع الرسل فيما يدعوننا اليه فيقال لهم
توبيخا اولم تكونوا اقسمتم اي حلفتم من قبل في الدنيا ما لكم واكد النفي
بقوله من زوال اي ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور كما قال في اية اخرى
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وكانوا يقولون لا زوال لنا من
هذه الحياة الى حياة اخرى ومن هذه الدار الى دار المجازاة لانهم كانوا يكونون انه زوال
عن حياة الى موت او عن شباب الى هرم او عن غنى الى فقر ثم انه تعالى زادهم توبيخا
اخر بقوله تعالى وسكنتم في الدنيا في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر من الامم
السابقة وتبين لكم كيف فعلنا بهم اي ظهر لكم بما تشاهدون في منازلهم من اثار
ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا اي وبينا لكم الامثال في القران
ان عاقبتهم عادت الى الوبال والخزي والنكال مما يعلم به انه قادر على الاعادة كما قدر
على الابتدا وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المعجل وذلك في كتاب الله تعالى
كثير ولما ذكر تعالى صفة عقابهم اتبعه بذكر كيفية مكرهم بقوله تعالى وقد مكروا مكرهم
اي الشديد العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم واختلف في عود الضمير في مكروا على وجوه

Copyright © King Saud University